كتاب موسى المفقود - الجزء الحادي عشر.

بحث وإعداد: ميرنا جردلي.

تدقيق وإشراف: الأستاذ موّفّق البغداديّ

الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى:

نَحْنُ عَلَى يَقِينٍ مُطْلَقٍ بِأَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْمَرْجِعُ الْأَوْحَدُ لِجَمِيعِ التَّسَاؤُلَاتِ وَلِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ، وَفِيهِ الثَّوَابِتُ جَمِيعُهَا، وَكُلُّ مَا يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَهُوَ كِتَابٌ حَيٌّ يُخَاطِبُنَا، وَفِيهِ رَسَائِلُ وَاضِحَةٌ بَيِّنَةٌ لِكُلِّ مَنْ يَسْعَى لِمَعْرِفَةِ دِينِ اللهِ، وَسَتَظَلُّ آيَاتُهُ تُوقِظُنَا مِنْ غَفْلَتِنَا حَتَّى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، بِشَرْطِ أَنْ نَجْتَهِدَ فِيهِ وَأَنْ نَتَدَبَّرَهُ عَازِمِين عَلَى الْوَصُولِ لِلْحَقِيقَةِ الَّتِي لَنْ نَجِدَهَا إِلَّا فِي هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ.

وَفِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾.

وَبَعْدَ أَنْ عَرَضْنَا كُلَّ مَا تَقَدَّمَ عَنْ كِتَابِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا بُدَّ أَنْ نَسْأَلَ: **مَنْ هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ وَهَلْ هُمْ فِعْلًا أَتْبَاعُ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؟**

فَالْإِجَابَةُ حَتْمًا سَوْفَ نَلْقَاهَا فِي الْقُرْآنِ، وَهُوَ الْمَرْجِعُ الْأَوْحَدُ الَّذِي لَا يَشُوبُهُ التَّحْرِيفُ، وَلَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ، وَقَدْ أَحْصَى اللهُ فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ.

سُورَةُ النَّحْلِ: وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾.

اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نَزَّلَ مَصْدَرًا وَاحِدًا لِدِينِهِ، وَلَٰكِنْ مَا لَبِثَ النَّاسُ أَنْ أَضَافُوا مَعَهُ مَصَادِرَ أُخْرَىٰ أَدَّتْ إِلَىٰ تَحْرِيفِ وَتَزْيِيفِ كَلَامِ اللهِ. وَلَٰكِنْ تَبْقَىٰ آيَاتُ الْكِتَابِ حُجَّةً عَلَىٰ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَتَّهِمُونَ الْقُرْآنَ بِالنَّقْصِ وَالْغُمُوضِ وَالِاحْتِيَاجِ لِلْبَشَرِ.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ: أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ: فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾.

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ: تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾.

مُعظَمُنا نَسْتَخْدِمُ كَلِمَةَ "الْيَهُودِ" لِلتَّعْبِيرِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ قَوْمِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلٰكِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ اسْتَخْدَمَ عِدَّةَ تَعْبِيرَاتٍ عِنْدَمَا تَحَدَّثَ عَنْهُمْ، وَقَدْ تَعَلَّمْنَا أَنَّ كُلَّ تَعْبِيرٍ لَهُ مَعْنًى خَاصٌّ يَتَحَدَّثُ عَنْ فِئَةٍ مُعَيَّنَةٍ بِذَاتِهَا. وَيَجْدُرُ الذِّكْرُ وَالتَّذْكِيرُ أَنَّ الْيَهُودِيَّةَ لَيْسَتِ الرِّسَالَةَ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ هُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا أَسْلَفْنَا سَابِقًا.

سُورَةُ يُونُسَ: وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾.

وَهِيَ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ نَفْسُ الرِّسَالَةِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَىٰ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾.

وَنَفْسُ الرِّسَالَةِ نَزَلَتْ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، فَالدِّينُ عِنْدَ اللهِ هُوَ الْإِسْلَامُ مِنْ عَهْدِ آدَمَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا بَيَّنَّا سَابِقًا.

لِذَلِكَ عَلَيْنَا التَّمْيِيزُ بَيْنَ جَمِيعِ الْمُفْرَدَاتِ: بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَيْنَ الْيَهُودِ وَيَهُودَ وَيَهُودِيٌّ وَهُودًا مِنْ جِهَةٍ، وَبَيْنَ الَّذِينَ هَادُوا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ. وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ، فَوَاجِبٌ التَّمْيِيزُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَيْنَ النَّصَارَىٰ وَنَصَارَىٰ وَنَصْرَانِيٌّ مِنْ جِهَةٍ، وَبَيْنَ أَنْصَارِ اللهِ، فَقَدِ اخْتَصَّهُمُ اللهُ بِالْعَدِيدِ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي سَنَأْتِي عَلَىٰ ذِكْرِهَا بِالتَّفْصِيلِ. وَسَنَرَىٰ فِي الْآيَاتِ كَيْفَ أَنَّ النَّصَارَىٰ وَنَصَارَىٰ وَنَصْرَانِيَّ وَالْيَهُودَ وَيَهُودِيٌّ وَهُودًا، دَائِمًا مَذْمُومُونَ فِي الْقُرْآنِ، بَيْنَمَا الَّذِينَ هَادُوا أَوْ مَنْ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَوْ أَنْصَارُ اللهِ، خَاطَبَهُمُ اللهُ فِي مُعْظَمِ الْآيَاتِ بِأُسْلُوبٍ تَوْجِيهِيٍّ، سَوَاءٌ أَكَانَ أَمْرًا أَوْ نَهْيًا.

وَلِلتَّوْضِيحِ أَكْثَرَ، فَكَلِمَةُ "الْيَهُودِ" وَ"النَّصَارَىٰ" الْمَعْرِفَةُ بِأَلِفِ لَامِ التَّعْرِيفِ، وَكَذَلِكَ "يَهُودِيٌّ" وَ"نَصْرَانِيٌّ" الَّتِي آخِرُهَا يَاءُ النِّسْبَةِ وَالَّتِي تَنْسِبُهُمْ لِمِلَّتَيِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، تَخْتَلِفُ عَنِ الَّذِينَ هَادُوا وَأَنْصَارِ اللهِ وَإِنَّا نَصَارَىٰ، فَهُمَا مَوْضُوعَانِ مُخْتَلِفَانِ تَمَامًا.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾.

لَاحِظْ أَنَّ أَقْرَبَهُمْ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ، وَلَيْسَ النَّصَارَىٰ.

وَقَبْلَ أَنْ أَعْرِضَ جَمِيعَ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا هَذِهِ الْمُفْرَدَاتِ، سَنُلَاحِظُ وَبِوُضُوحٍ أَنَّ الْيَهُودَ بِدَايَةً هُمْ أَعْدَاءٌ لِلْإِسْلَامِ وَأَعْدَاءٌ لِلدِّينِ. فَهُمْ مِلَّةٌ مُشْبَعَةٌ بِالْحِقْدِ وَالْكُرْهِ، تَقُومُ عَلَى الْفَوْقِيَّةِ وَحُبِّ الذَّاتِ، وَتَسْعَىٰ لِلسَّيْطَرَةِ عَلَى

الْعَالَمِ، كَمَا هُوَ حَاصِلٌ فِي زَمَانِنَا الْيَوْمَ. لَهَا فِكْرٌ مُتَطَرِّفٌ وَسُلُوكٌ عُدْوَانِيٌّ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ لَا دِينَ لَهَا، وَمُمْكِنٌ أَنْ تَنْشَأَ فِي أَيِّ فِكْرٍ أَوْ ثَقَافَةٍ أَوْ عَقِيدَةٍ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ الِانْتِمَاءِ لِمَذْهَبٍ أَوْ لِطَائِفَةٍ. هٰكَذَا وَصَفَهُمُ اللهُ فِي كِتَابِهِ الْمُنَزَّلِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ سَنَةٍ، وَكَأَنَّهُ يَصِفُ حَالَهُمُ الْيَوْمَ فِي حَاضِرِنَا هٰذَا.

الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ هُمْ طَائِفَتَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمَا جَمَاعَاتٌ مِنْ غَيْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَرُورًا بِكُلِّ الْأَزْمِنَةِ حَتَّىٰ زَمَنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَا بَعْدَهُ. وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ فَقَدْ أَتَاهُمُ اللهُ الْكِتَابَ، كَمَا جَاءَ فِي **سُورَةِ الْبَقَرَةِ: وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾.**

هٰؤُلَاءِ كَانُوا يَصُدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ عِبَادَاتِهِمْ فِي الْمَسَاجِدِ، وَيَسْعَوْنَ إِلَىٰ خَرَابِهَا، فَتَوَعَّدَهُمُ اللهُ بِخِزْيِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَتَعْذِيبِهِمْ فِي الْآخِرَةِ. كَمَا أَنَّهُمْ أَشْرَكُوا بِاللهِ، وَبِالْإِضَافَةِ إِلَىٰ كُلِّ ذٰلِكَ فَقَدِ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ.

سُورَةُ التَّوْبَةِ: وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾.

وَالْوَاضِحُ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ هُمَا مِلَّتَيْنِ أَشْرَكُوا بِاللهِ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِالْكِتَابِ، أَوْ عَلَى الْأَقَلِّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ كُلِّهِ. وَهُمَا لَيْسَتَا دِيَانَتَيْنِ، فَهُمْ لَمْ يَتَّبِعُوا مُوسَىٰ أَوْ عِيسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَدْ كَانُوا عَلَىٰ دِيَانَتَيْنِ ابْتَدَعُوهُمَا مِنْ دُونِ اللهِ.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ: وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾.

وَهٰؤُلَاءِ الْيَهُودُ كَمَا النَّصَارَىٰ، وَمُفْرَدُهُمَا "يَهُودِيٌّ وَنَصْرَانِيٌّ"، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ إِشْرَاكِهِمْ بِاللهِ وَضَلَالِهِمْ وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ، كَانُوا يُحَاجُّونَ بِاللهِ بِأَنَّهُمَا الْأَوْلَىٰ بِهِ سُبْحَانَهُ، كَمَا حَاجُّوا أَيْضًا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ وَيَكْتُمُونَهُ، وَلٰكِنَّ اللهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْلَمُونَ.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: مَا كَانَ إِبْرٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾.

إِذًا فَالْوَاضِحُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَصَفَهُمَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَالْيَهُودُ مُشْبَعُونَ بِالْحِقْدِ وَالتَّطَرُّفِ، مَلْعُونُونَ مِنَ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يُحَاوِلُونَ تَضْلِيلَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَذِّرُنَا اللهُ مِنْ أَنْ نَتَّخِذَهُمْ أَوْلِيَاءَ، مَهْمَا صَدَرَ عَنْهُمْ مِنْ تَوَدُّدٍ وَتَقَرُّبٍ، وَمَهْمَا عَلَوْا فِي الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ الْوِلَايَةَ تُبْنَىٰ عَلَى الْوِفَاقِ وَالسِّلْمِ وَالنُّصْرَةِ، لَا عَلَى الْفَسَادِ وَالْفُرْقَةِ.

وَشَدَّدَ اللهُ كَثِيرًا فِي التَّحْذِيرِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾؛ لِأَنَّهُ سَيَدْخُلُ فِي دَائِرَةِ النِّفَاقِ وَالْكُفْرِ.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۙ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾.

وَيَتَبَيَّنُ لَنَا مِنْ خِلَالِ الْآيَاتِ السَّابِقَةِ، وَمِنْ خِلَالِ تَدَبُّرِ كِتَابِ اللهِ، أَنَّ اللهَ لَمْ يُخَاطِبِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَبَدًا، إِنَّمَا اكْتَفَىٰ بِتَبْيَانِ أَوْصَافِهِمْ وَالْغِلِّ وَالْحِقْدِ الَّذِي فِي صُدُورِهِمْ. وَلٰكِنَّنَا نَرَىٰ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ أَنَّ اللهَ خَاطَبَ قَوْمَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِـ"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا" أَوْ "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ" أَوْ "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ".

وَبِالْقَطْعِ أَنَّ الْمِلَّةَ الْيَهُودِيَّةَ ظَهَرَتْ بَعْدَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، تَمَامًا كَمَا الْمِلَّةُ النَّصْرَانِيَّةُ الَّتِي جَاءَتْ بَعْدَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّ أَنْبِيَاءَهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِيَرْضَوْا بِأَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مِلَّةٌ أَوْ دِيَانَةٌ غَيْرُ الْإِسْلَامِ، بِنَصِّ الْآيَاتِ مِنْ

سُورَةِ الْمَائِدَةِ: وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾.

وَأَيْضًا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾.

سُورَةُ الصَّفِّ: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾.

قَدْ يَسْأَلُ أَحَدُكُمْ بَعْدَ أَنْ يَقْرَأَ هٰذِهِ الْآيَةَ بِأَنَّ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَوَجَّهَ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَالَ لَهُمْ: "إِنِّي مُصَدِّقٌ لِلتَّوْرَاةِ"، وَهٰكَذَا قَدْ يَفْهَمُ بِأَنَّ كِتَابَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ التَّوْرَاةُ. وَلٰكِنَّنَا كُنَّا قَدْ بَيَّنَّا بِأَنَّ مَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الْكِتَابُ، وَسَنَأْتِي عَلَىٰ شَرْحِ التَّوْرَاةِ لَاحِقًا. وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِشَارَةِ هُنَا إِلَىٰ أَنَّ الْفَتْرَةَ الْمُمْتَدَّةَ بَيْنَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ تَمْتَدُّ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةِ آلَافِ سَنَةٍ بِحَسَبِ التَّارِيخِ، وَرُبَّمَا أَكْثَرَ. وَخِلَالَ هٰذِهِ الْفَتْرَةِ، أَيْ مَا بَعْدَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ اللهُ قَدْ بَعَثَ عِدَّةَ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلٍ.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ: أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾.

وَهُنَا نَتَسَاءَلُ: مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ تَسْمِيَةُ الْيَهُودِ؟

يُقَالُ بِأَنَّ الْيَهُودَ مُنْتَسِبِينَ إِلَى "يَهُوذَا"، وَبِالْعَرَبِيَّةِ يُطْلَقُ عَلَيْهِ "يَهُوذَا"، وَقَالُوا إِنَّهُ أَحَدُ أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ الِاثْنَيْ عَشَرَ. وَفِيمَا بَعْدَ أَصْبَحَ لَقَبُ الْيَهُودِ يُسْتَخْدَمُ لِلْإِشَارَةِ إِلَى جَمِيعِ أَتْبَاعِ هَذِهِ الْمِلَّةِ أَوِ الدِّيَانَةِ الْمُبْتَدَعَةِ. كَمَا يَجْدُرُ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ اسْمَ اللهِ عِنْدَ الْيَهُودِ يُعْرَفُ بِـ"يَهْوَه" فِي الْكُتُبِ الْيَهُودِيَّةِ.

فَمَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَ لَفْظِ الْيَهُودِ وَلَفْظِ اللهِ؟

"يَهُوذَا" يَحْمِلُ مَعْنَى الْحَمْدِ لِلهِ أَوِ الْمُعْتَرِفِ بِاللهِ أَوْ عَبْدِ اللهِ، وَبِالتَّالِي فَإِنَّ اسْمَ "يَهُوذَا" مُشْتَقٌّ مِنَ اسْمِ اللهِ فِي دِيَانَتِهِمْ. فَنَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ إِنَّ اسْمَ الْيَهُودِ مُشْتَقٌّ مِنَ اسْمِ اللهِ "يَهْوَه"، وَهِيَ تَرْمُزُ إِلَى الْكَيْنُونَةِ وَالْوُجُودِ، وَهٰذَا يَدُلُّ

عَلَى صِفَاتِ اللهِ دَائِمِ الْوُجُودِ، أَوِ "الَّذِي هُوَ" أَوْ "الَّذِي يوجَدُ" أَيْ الْخَالِقُ الْأَبَدِيُّ. وَيُعْتَبَرُ هَذَا الِاسْمُ مُقَدَّسًا وَلَا يُنْطَقُ بِهِ إِلَّا فِي سِيَاقَاتٍ مَحْدُودَةٍ. فَالْوَاضِحُ أَنَّ الْيَهُودَ نَسَبُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَى يَهُودَا أَوْ يَهُوذَا أَوْ مُبَاشَرَةً لِاسْمِ اللهِ عِنْدَهُمْ. وَبِكُلِّ الْحَالَاتِ، فَالْوَاضِحُ أَنَّهُمُ ابْتَدَعُوا اسْمًا لِدِيَانَةٍ لَمْ يُنَزِّلْهَا اللهُ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ التَّسْمِيَةِ.

وَالْجَدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ لَمْ يُذْكَرُوا قَبْلَ عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْقُرْآنِ، فَالْوَاضِحُ أَنَّهُمْ جَاءُوا مِنْ بَعْدِ مُوسَى وَقَبْلَ عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛ لِأَنَّنَا وَكَمَا أَسْلَفْنَا سَابِقًا أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ بِالْإِسْلَامِ، وَلَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ تَسْمِيَةً أُخْرَى مِثْلَ "الْيَهُودِ" أَوْ "يَهُودِيٌّ". كَمَا حَصَلَ مِنْ بَعْدِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّنْ سَمَّوْا أَنْفُسَهُمْ بِـ"النَّصَارَى"، تَمَامًا مِثْلَ الْمَذَاهِبِ وَالْمِلَلِ وَالشِّيَعِ الَّتِي ظَهَرَتْ مِنْ بَعْدِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَلَقَدْ رَأَيْنَا فِيمَا سَبَقَ أَنَّ أَغْلَبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يُؤْمِنُوا أَصْلًا بِرِسَالَةِ مُوسَى وَلَا حَتَّى بِرِسَالَةِ عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
وَبِالْعَوْدَةِ إِلَى بَعْضِ الْآيَاتِ، نُلَاحِظُ أَنَّ بَعْضَ قَاطِنِي مِصْرَ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ كَانُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبَعْضُهُمْ آمَنُوا بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاتَّبَعُوهُ، وَغَالِبُ الظَّنِّ أَنَّهُمْ فِيمَا بَعْدَ أَصْبَحَ يُطْلَقُ عَلَيْهِمْ تَسْمِيَةُ الْأَقْبَاطِ؛ حَيْثُ كَانَ يَتَوَاجَدُ فِي مِصْرَ نِسْبَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبِالتَّالِي مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ.

سورة البقرة: وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾.

وَفِي سُورَةِ يُونُس: وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٧﴾.

وَفِي سُورَةِ الزُّخْرُفِ: وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَ�ٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾.

الْوَاضِحُ أَنَّ فِرْعَوْنَ، وَبِحَسَبِ الْآيَاتِ السَّابِقَةِ، كَانَ مَلِكًا عَلَى مِصْرَ، وَبَعْدَ أَنْ عَذَّبَ اللهُ آلَ فِرْعَوْنَ وَنَجَّى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَدْ أَعَادَهُمُ اللهُ إِلَيْهَا مَرَّةً أُخْرَى، وَلَكِنْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ أَوْرَثَهُمْ إِيَّاهَا.

فَفِي سُورَةِ الزُّخْرُفِ: وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾.

وَفِي سُورَةِ الدُّخَانِ: فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾.

فالْوَاضِحُ مِنَ الْآيَاتِ السَّابِقَةِ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَادُوا لِمِصْرَ، وَلَمْ يَذْهَبُوا لِفِلَسْطِينَ حِينَئِذٍ، كَمَا قَرَأْنَا فِي التَّارِيخِ وَالتُّرَاثِ بِالْعُمُومِ!

فَمَنْ هُمْ إِذًا الَّذِينَ هَادُوا؟

لِلْإِجَابَةِ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ، نَأْتِي إِلَى آيَاتِ **سُورَةِ الْأَعْرَافِ: وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾.**

بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمِيقَاتِ رَبِّهِ فِي الْقِصَّةِ الْمَعْرُوفَةِ، وَحِينَ اتَّخَذَ قَوْمُهُ مِنْ بَعْدِهِ الْعِجْلَ لِيَعْبُدُوهُ، وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ فِئَةٌ مِنْهُمْ تَابَتْ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ: **وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾.**

فَالَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِالظَّالِمِينَ، وَسَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَكِنَّ اللهَ اسْتَثْنَى مِنْهُمُ الَّذِينَ تَابُوا قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: **إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾.**

بَعْدَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ، اخْتَارَ مُوسَى سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِ رَبِّهِ لِيَتُوبُوا إِلَيْهِ فِي مَوْعِدٍ حَدَّدَهُ اللهُ لَهُمْ، **سُورَةُ الْأَعْرَافِ:**

وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ

مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾.

يَقُولُ هُنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾، فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِمَ أَنَّ مَا حَصَلَ مَعَ قَوْمِهِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِتْنَةً مِنَ اللهِ لِيَمْحَصَ قُلُوبَهُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ فِي **سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ: أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾.**

حِينَئِذٍ قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾، أَيْ عُدْنَا لِطَرِيقِ الْحَقِّ. فَالْهُدَى هُوَ اتِّبَاعُ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، وَعَكْسُهُ الضَّلَالُ. فَأَيُّ شَخْصٍ يَسْلُكُ طَرِيقًا مُعَيَّنًا لِيَصِلَ إِلَى مَكَانٍ مُعَيَّنٍ، فَإِنْ وَصَلَ إِلَيْهِ فَقَدِ اهْتَدَى الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ، وَإِنْ ضَلَّ الطَّرِيقَ يَكُونُ قَدْ أَضَاعَهُ. وَهَؤُلَاءِ تَمَامًا مَنْ وَصَفَهُمُ اللهُ بِـ"الَّذِينَ هَادُوا"، وَبَقِيَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ مَعَهُمْ وَمَعَ ذُرِّيَّاتِهِمْ، وَكُلُّ مَنْ نَسَبُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُمْ إِلَى مَا شَاءَ اللهُ. وَلِذَلِكَ فَهِيَ لَمْ تَكُنْ أَبَدًا دِيَانَةً أَوْ مِلَّةً. وَهَذِهِ الْفِئَةُ الَّتِي هِيَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، هُمْ أَيْضًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ، آمَنُوا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَادُوا لِطَرِيقِ اللهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. أَمَّا أَغْلَبُ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ وَلَمْ يَتُوبُوا، وَقَدْ يَكُونُ بَعْضُهُمْ عَادَ لِطَرِيقِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

وَلَكِنَّ وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ، فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَتْرُكَهُمْ دُونَ أَنْ يَفْتِنَهُمْ، وَسَوْفَ نَرَى أَنَّ قَوْمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَخَاصَّةً مِنَ الَّذِينَ هَادُوا، كَانُوا مُذَبْذَبِينَ فِي إِيمَانِهِمْ، وَمُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ قُبُولٍ وَرَفْضٍ لِلْحَقِّ. وَقَدْ أَعْطَاهُمُ اللهُ فُرَصًا كَثِيرَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ كُلَّمَا عَاهَدُوا اللهَ عَهْدًا كَانَ يَنْبِذُهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ بَقُوا مُهْتَدِينَ.

سُورَةُ الْأَعْرَافِ: وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾.

نَأْتِي إِلَى تَحْلِيلِ الرَّبْطِ بَيْنَ ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾، وَ"الَّذِينَ هَادُوا". الْجَذْرُ اللِّسَانِيُّ هُوَ الْفِعْلُ "هَادَ"، وَيَعْنِي رَجَعَ إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، طَرِيقِ الْهُدَى. وَفِي الْآيَةِ ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾، يَعْنِي عُدْنَا إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ أَوِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. هَذَا قَرِيبٌ مِنَ الْمُرَادِ مِنَ الْهَدَفِ مِنَ الْإِسْلَامِ نَفْسِهِ؛ حَيْثُ أَنَّ "الْإِسْلَامَ" هُوَ التَّسْلِيمُ لِلهِ، وَ"الْهُدَى" هُوَ اتِّبَاعُ طَرِيقِهِ.

لِمَاذَا تَمَّ اسْتِخْدَامُ "الَّذِينَ هَادُوا" كَوَصْفٍ؟

الْمُصْطَلَحُ "الَّذِينَ هَادُوا" فِي الْقُرْآنِ لَا يَبْدُو أَنَّهُ مَجَرَّدُ وَصْفٍ لِحَالَةِ تَوْبَةٍ عَابِرَةٍ، بَلْ أَصْبَحَ اسْمًا لِمَجْمُوعَةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالوَاضِحُ أَنَّ تَسْمِيَتَهُمْ بِهَذَا الاسْمِ جَاءَتْ لِأَنَّهُمْ فِي هَذِهِ الحَادِثَةِ رَجَعُوا إِلَى اللهِ بَعْدَ

الضَّلَالِ، فَأَصْبَحَ هَذَا الاسْمُ يُعَبِّرُ عَنْ هَوِيَّةٍ تَصِفُ هَذَا الحَدَثَ الَّذِي قَامُوا بِهِ فِي مَرْحَلَةٍ مَا مِنْ حَيَاتِهِمْ وَأَصْبَحُوا يُعْرَفُوا فِيهِ وَمِنْ خِلَالِهِ.

هَلْ يُمْكِنُ لِأَيِّ شَخْصٍ أَنْ يَقُولَ "إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ"؟

نَعَمْ، أَيُّ شَخْصٍ يُمْكِنُهُ قَوْلُهَا إِذَا كَانَ يُرِيدُ التَّوْبَةَ وَالرُّجُوعَ إِلَى طَرِيقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَكِنَّ الْقُرْآنَ اسْتَخْدَمَ "الَّذِينَ هَادُوا" كَهَوِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ تَصِفُ جَمَاعَةً مُعَيَّنَةً، وَلَيْسَ لِأَيِّ شَخْصٍ قَالَهَا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ.

وَكَثِيرَةٌ هِيَ الْآيَاتُ الَّتِي خَاطَبَ بِهَا اللهُ الَّذِينَ هَادُوا، وَفِيهَا مَدْحٌ وَذَمٌّ، وَتَرْغِيبٌ وَتَرْهِيبٌ، وَتَوْجِيهٌ لِلْحَقِّ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنْ عَمَلِ السُّوءِ. وَلَكِنْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ بِأَنْعُمِ اللهِ .

سُورَةُ النِّسَاءِ: مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ۙ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾.

سُورَةُ الْجُمُعَةِ: قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾.

وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِشَارَةِ هُنَا إِلَى أَنَّ الَّذِينَ هَادُوا ادَّعَوْا أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ، بَيْنَمَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ادَّعَوْا بِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾.

وَبَعْدَ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ، يَأْتِي اللهُ بِمُفْرَدَةِ "الَّذِينَ هَادُوا" لِيُعَرِّفَهُمْ لَنَا:

سُورَةُ الْبَقَرَةِ: إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾.

سُورَةُ الْحَجِّ: إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾.

فَهَلْ كُلُّ الَّذِينَ هَادُوا لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ؟ بِالْقَطْعِ لَا! فَاللهُ اشْتَرَطَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا. وَإِذَا دَقَّقْنَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، نَرَى أَنَّ اللهَ لَمْ يَذْكُرِ الْيَهُودَ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ "الَّذِينَ هَادُوا" وَذَكَرَ أَيْضًا النَّصَارَى. وَهَذَا يُؤَكِّدُ لَنَا أَنَّ الْيَهُودَ يَخْتَلِفُونَ عَنِ الَّذِينَ هَادُوا، وَيَبْدُو أَنَّ النَّصَارَى أَقَلُّ كُفْرًا وإعراضًا مِنْهُمْ؛ فَاللهُ لَمْ يَذْكُرِ الْيَهُودَ أَبَدًا فِي مِثْلِ هَذِهِ السِّيَاقَاتِ الَّتِي أَسَاسُهَا الْفَصْلُ بَيْنَ النَّاسِ وَالْأُمَمِ بِالْخُصُوصِ.

يَبْدُو جَلِيًّا أَنَّ الْيَهُودَ يُمَثِّلُونَ مَنْحًى فِكْرِيًّا وَدِينِيًّا مُخَالِفًا لِمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَيْثُ أَدْخَلُوا عَقَائِدَ جَدِيدَةً فِي مِلَّتِهِمْ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى افْتِرَائِهِمْ عَلَى اللهِ وَتَشْوِيهِهِمْ لِصِفَاتِهِ، وَنَزْعَتِهِمُ الْعَدَائِيَّةِ حَتَّى اتِّجَاهَ أَهْلِ الْكِتَابِ نَفْسِهِمْ. بِيْدَ أَنَّ النَّصَارَى -وَمَعَ وَصْفِهِمْ بِالْكُفْرِ- فَهُمْ لَمْ يَصِلُوا لِلدَّرَجَةِ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا الْيَهُودُ. وَلِهَذَا فَقَد وَصَفَ الله الْيَهُودَ بِأَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ:

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾.

وَإِذَا دَقَّقْنَا، نُلَاحِظُ أَنَّ اللهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ بِأَنْ يُخَاطِبَ "الَّذِينَ هَادُوا"، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ أَيَّةَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فِيهَا أَمْرٌ بِمُخَاطَبَةِ الْيَهُودِ أَوِ النَّصَارَى .

وَلِلدُّخُولِ فِي التَّفَاصِيلِ أَكْثَرَ، فَنُلَاحِظُ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الَّذِينَ هَادُوا طَيِّبَاتٍ كَانَتْ قَدْ أُحِلَّتْ لَهُمْ. صَحِيحٌ أَنَّ الَّذِينَ هَادُوا تَابُوا وَعَادُوا لِرُشْدِهِمْ وَلِطَرِيقِ اللهِ تَعَالَى، وَلَكِنْ عِنْدَمَا عَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، كَانَتْ تِلْكَ عُقُوبَتَهُمْ .

سُورَةُ الْأَنْعَامِ: وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾.

وَلَوْ سَأَلْنَا أَنْفُسَنَا الْآنَ: مَتَى حَرَّمَ عَلَيْهِمُ اللهُ ذَلِكَ؟ وَكَيْفَ؟ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ التَّحْرِيمَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِرِسَالَةٍ مِنَ اللهِ، فَنَكْتَشِفُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ التَّحْرِيمَ جَاءَ بَعْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَلْنَعُدْ قَلِيلًا إِلَى الْآيَاتِ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ: **وَلَمَّا**

رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى ۖ فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾.

نُلَاحِظُ أَنَّ الْأَلْوَاحَ -وَالَّتِي أَصْبَحْنَا نَعْلَمُ الْآنَ أَنَّهَا هِيَ نَفْسُهَا كِتَابُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ- كَانَتْ مَعَهُ حِينَ عَادَ لِقَوْمِهِ وَوَجَدَهُمْ يَعْبُدُونَ الْعِجْلَ. وَبِمَا أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اخْتَارَ بَعْدَ ذَلِكَ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِ رَبِّهِ وَقَالَ: "إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ"، وَبَدَأَتْ تَسْمِيَةُ "الَّذِينَ هَادُوا"، فَالْوَاضِحُ أَنَّ التَّحْرِيمَ هَذَا جَاءَ بِرِسَالَةٍ ثَانِيَةٍ مَعَ نَبِيٍّ آخَرَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَغَالِبًا سَيَكُونُ فِي التَّوْرَاةِ.

وَبَعْدَ هَذَا التَّحْرِيمِ، جَاءَ عِيسَى وَأَتَاهُمْ بِالْإِنْجِيلِ، فَأَحَلَّ لَهُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْهَا بَعْضُ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الطَّعَامِ. فَكَمَا أَنَّ التَّحْرِيمَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِرِسَالَةٍ، فَتَحْلِيلُ مَا حَرَّمَ اللهُ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ أَيْضًا بِرِسَالَةٍ.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۖ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾.

وَمِن رَحمَة الله أَنَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -وَالَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ بِالْعُمُومِ- فَقَدْ أَرْسَلَهُ أَيْضًا لِيُخَفِّفَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَيَضَعَ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ. وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ، فَضَلَالُهُمْ وَحِقْدُهُمْ أَعْمَى قُلُوبَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ، فَبَدَلَ أَنْ يَسْتَغِلُّوا هَذِهِ الْفُرْصَةَ، حَارَبُوهُ وَرَفَضُوا رِسَالَتَهُ، فَالْوَيْلُ لَهُمْ مِنَ اللهِ، وَالْوَيْلُ لَهُمْ مِنْ قَسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ وَسَوَادِهَا وَفَسَادِهَا!

سُورَةُ الْأَعْرَافِ: ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾.

إِذًا، فَالتَّحْرِيمُ وَالتَّحْلِيلُ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ مِنْ كِتَابٍ وَرِسَالَةٍ. وَلِذَلِكَ، فَعِنْدَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّ كُلَّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لَهُمْ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ، فَهَذَا مَحْضُ افْتِرَاءٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَيِّ كَانَ دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُحِلَّ أَوْ يُحَرِّمَ. وَلِذَلِكَ، فَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ نَبِيَّهُ الْكَرِيمَ أَنْ يُحَاجِجَهُمْ بِالتَّوْرَاةِ لِيُبَيِّنَ كَذِبَهُمْ.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۚ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾.

وَنَعُودُ قَلِيلًا لِسُورَةِ الْمَائِدَةِ لِلتَّذْكِيرِ: **يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾.**

نَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ التَّوْرَاةَ أُنْزِلَتْ، وَأَصْبَحَ النَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَحْكُمُونَ بِهَا لِلَّذِينَ هَادُوا. وَهَذَا تَأْكِيدٌ آخَرُ عَلَى أَنَّ التَّوْرَاةَ نَزَلَتْ مِنْ بَعْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَلَوْ نَزَلَتْ قَبْلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَكَانَ الَّذِينَ هَادُوا غَيْرَ مَوْجُودِينَ بَعْدُ. وَقَدْ وَضَّحْنَا سَابِقًا أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنَّمَا الْكِتَابُ هُوَ الَّذِي نَزَلَ لَهُ، فَلَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ التَّوْرَاةُ قَدْ نَزَلَتْ بَعْدَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالْوَاضِحُ أَنَّ التَّوْرَاةَ فِيهَا أَحْكَامٌ وَضَوَابِطُ مُعَيَّنَةٌ، وَبَعْضُهَا خَاصٌّ بِالَّذِينَ هَادُوا. وَنَجِدُ فِي نَصِّ الْآيَاتِ بَعْضًا مِنْ أَحْكَامِهَا:

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾.

وَلِلتَّأْكِيدِ أَكْثَرَ بِأَنَّ التَّوْرَاةَ أُنْزِلَتْ لِلَّذِينَ هَادُوا خُصُوصًا وَلِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْعُمُومِ، نَعُودُ إِلَى **سُورَةِ الْجُمُعَةِ: مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ**

لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾.

نَرَى أَنَّ ذِكْرَ التَّوْرَاةِ جَاءَ، وَفِي سِيَاقِهِ مُبَاشَرَةً خِطَابٌ لِلَّذِينَ هَادُوا، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ أُخْرَى عَلَى أَنَّ التَّوْرَاةَ نَزَلَتْ لَهُمْ.

وَبَعْدَ اسْتِعْرَاضِ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ آيَاتٍ عَنِ الَّذِينَ هَادُوا، يَتَضَحُ لَنَا أَنَّ إِيمَانَهُمْ كَانَ ضَعِيفًا وَمُتَرَدِّدًا بَيْنَ قَبُولٍ وَرَفْضٍ، وَعِصْيَانٍ وَرَجْعَةٍ إِلَى اللهِ وَتَوْبَةٍ. وَلَكِنَّ مُعْظَمَهُمْ لَيْسَ عَنْ قَنَاعَةٍ وَعَوْدَةٍ حَقِيقِيَّةٍ لِنَيْلِ مَغْفِرَتِهِ سُبْحَانَهُ، إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ.

وَأَكْثَرُ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ في الأُمَم السَابِقَة هُوَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمُ الْأَكْثَرُ غُمُوضًا:

سُورَةُ النَّمْلِ: إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾.

بَعْدَ التَّأَمُّلِ فِي كُلِّ ذَلِكَ، يَتَضَحُ أَنَّ إِطْلَاقَ مُصْطَلَحِ "الْيَهُودِ" عَلَى جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْسَ صَحِيحًا إِطْلَاقًا، بَلْ يُخَالِفُ النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ وَالْوَاقِعَ التَّارِيخِيَّ. فَالْقُرْآنُ يُمَيِّزُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَأُمَّةٍ، وَبَيْنَ "الْيَهُودِ" كَمِلَّةٍ، وَالَّذِينَ لُعِنُوا بِسَبَبِ تَحْرِيفِهِمْ لِلرِّسَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ. فَالْيَهُودِيَّةُ -وَكَمَا نَعْرِفُهَا الْيَوْمَ- لَيْسَتْ هِيَ ذَاتَهَا الرِّسَالَةَ التَّوْحِيدِيَّةَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ هِيَ مِلَّةٌ صَاغَهَا كَهَنَةُ التَّوْرَاةِ والتَلمُود وَأَعَادُوا تَشْكِيلَهَا بَعِيدًا عَنْ جَوْهَرِ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ. أَمَّا رِسَالَةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَقِيقِيَّةُ، فَقَدْ كَانَتِ الْإِسْلَامَ الَّذِي أُرْسِلَ بِهِ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ .

وَمِنْ هُنَا، فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا التَّفْرِيقُ بَيْنَ "كِتَابِ مُوسَى" الَّذِي أَتَاهُ اللهُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَيْنَ التَّوْرَاةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ مِنْ جِهَةٍ، وَبَيْنَ "التَّوْرَاةِ" بِمُحْتَوَاهَا الْحَالِيِّ الَّتِي وَصَفَهَا اللهُ بِأَنَّهَا تَعَرَّضَتْ لِلتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ بِأَيْدِي مَنْ كَانُوا يَزْعُمُونَ بِأَنَّهُمْ رِجَالُ دِينٍ. وَفِيمَا يَخُصُّ الَّذِينَ هَادُوا، فَإِنَّ عَوْدَتَهُمُ الظَّاهِرَةَ إِلَى الْإِيمَانِ لَمْ تَكُنْ دَائِمًا نَابِعَةً عَنْ قَنَاعَةٍ حَقِيقِيَّةٍ أَوْ تَوْبَةٍ صَادِقَةٍ. فَإِنْ صَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَالتَزَمُوا بِهِ، فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ اللهِ، وَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَشَارَتْ إِلَى ذَلِكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ: إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾.

ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ،

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾.

وَهَنَا -وَكَمَا ذَكَرْنَا سَابِقًا- فَقَدْ حَارَبَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَكَادُوا لَهُ. وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، ظَهَرَتْ تَسْمِيَةٌ جَدِيدَةٌ، وَهِيَ "أَنْصَارُ اللهِ" وَ"إِنَّا نَصَارَى ."

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾.

لِلتَّوْضِيحِ، فَإِنَّ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ تُشْبِهُ "الَّذِينَ هَادُوا" أَوِ "الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ" كَدَلَالَةٍ؛ فَهُمْ مَنْ نَصَرُوا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَهِيَ لَيْسَتْ دِيَانَةً، وَإِنَّمَا وَصْفٌ لِحَدَثٍ قَامُوا بِهِ. وَلِذَلِكَ، فَقَدْ أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِيثَاقًا. وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ، فَلَنْ يَأْخُذَ اللهُ مِيثَاقًا مِنْ أَهْلِ دِيَانَةٍ غَيْرِ مُسْلِمَةٍ؛ لِأَنَّهُ لَنْ يَقْبَلَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَصْلًا أَيَّةُ دِيَانَةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾.

وَلِذَلِكَ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا التَّفْرِيقُ بَيْنَ "إِنَّا نَصَارَى" وَبَيْنَ "النَّصَارَى". لَاحِظِ الْآيَاتِ التَّالِيَةِ:

سُورَةُ الْحَدِيدِ: ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾.

الْآيَةُ أَعْلَاهُ تُوَضِّحُ أَنَّ اللهَ جَعَلَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً. وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْحَوَارِيِّينَ هُمْ أَوَّلُ مَنِ اتَّبَعَهُ، وَهُمْ نَفْسُهُمُ الَّذِينَ قَالُوا: "نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ ."

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾.

هَنَا نَجِدُ أَيْضًا أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا "إِنَّا نَصَارَى" أَقْرَبُ النَّاسِ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا، بَيْنَمَا فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ نَجِدُ أَنَّ اللهَ يُخْبِرُ نَبِيَّهُ الْكَرِيمَ أَنَّ النَّصَارَى لَنْ تَرْضَى عَنْكَ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ! وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ تَعَارُضٌ فِي الْقُرْآنِ!

سُورَةُ الْبَقَرَةِ: وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾.

وَكَذَلِكَ فَقَدْ نَفَى اللهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَكُونَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمَا وَكِلَاهُمَا يَشْتَرِكَانِ بِنَفْسِ الْحَالِ، وَهُوَ دِيَانَتَيْنِ مُبْتَدَعَتَيْنِ:

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾.

وَيُجْدَرُ التَّذْكِيرِ أَنَّهُ وَبَعْدَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ظَهَرَتِ الدِّيَانَةُ النَّصْرَانِيَّةُ تَمَامًا كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِابْتِدَاعِ الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ. فَكِلَا مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَنْ يَقْبَلَا بِأَيِّ دِيَانَةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ. وَيُخْبِرُنَا اللهُ صَرَاحَةً أَنَّهُمْ أَوْ مُعْظَمَهُمْ لَمْ يَتَّبِعُوا حَتَّى التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ:

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾.

وَلَا بُدَّ مِنَ التَّذْكِيرِ أَنَّ اللهَ نَبَّهَنَا مِنَ الْأَخْذِ بِأَيِّ مِنْ كُتُبِ هَذِهِ الدِّيَانَاتِ الْمُبْتَدَعَةِ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ كُتُبَهُمْ قَدْ حُرِّفَتْ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ هُنَاكَ اخْتِلَافَاتٍ فِي الشَّرْعَةِ وَالْمِنْهَاجِ بَيْنَ الْأُمَمِ. وَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا فَقَطِ الْأَخْذُ مِنَ الرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ؛ فَفِيهَا التَّشْرِيعَاتُ النِّهَائِيَّةُ.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾.

سُورَةُ الرَّعْدِ: وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾.

وَلِتَوْضِيحِ الْفَرْقِ بَيْنَ "نَصَارَى" وَ"إِنَّا نَصَارَى" وَ"أَنْصَارِ اللهِ"، أَسْرِدُ عَلَيْكُمُ الْآيَاتِ التَّالِيَةَ لِتَتَدَبَّرُوهَا:

سُورَةُ الْبَقَرَةِ: وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ: وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ: أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٥﴾.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾.

سُورَةُ الصَّفِّ: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾.

مِنَ الْجَمِيلِ وَالْمُفِيدِ أَنْ نَعْرِفَ بَعْضَ مُحْتَوَى الْإِنْجِيلِ وَالتَّوْرَاةِ؛ فَهِيَ آيَاتٌ نَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّهَا صَحِيحَةٌ فِي ظِلِّ تَحْرِيفِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ. فَالْآيَاتُ التَّالِيَةُ تُخْبِرُنَا عَنْ بَعْضِ مُحْتَوَى التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ الصَحِيحَين والْمُنَزَّلَيْنِ مِنَ اللهِ، وَلَا نَجِدُ شَيْئًا عَنْ هَذِهِ الْمَوَاضِيعِ فِي النُّسَخِ الْمَوْجُودَةِ الْآنَ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْكِتَابَيْنِ الْمَوْجُودَيْنِ حَالِيًا غَيْرُ صَحِيحَيْنِ.

سُورَةُ الْأَعْرَافِ: ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾.

سُورَةُ التَّوْبَةِ: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾.

سُورَةُ الْفَتْحِ: مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾.

سُورَةُ الصَّفِّ: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾.

وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَّا هَذِهِ الْمُفْرَدَاتِ، نَعْرِجُ عَلَى الْمُفْرَدَةِ "هُودًا":

سُورَةُ الْبَقَرَةِ: وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ: وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ: أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾.

هَذِهِ الْمُفْرَدَةُ تُدَلُّ أَيْضًا عَلَى الْيَهُودِ، فَقَدْ جَاءَتْ دَائِمًا مَعَ "نَصَارَى" لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمِلَّتَيْنِ الْمُبْتَدَعَتَيْنِ مِنْ قِبَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالَّتِي مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُمَا لَيْسَتَا أَبَدًا مِنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَلَا دِينِ اللهِ الْحَقّ. وَهِيَ مُفْرَدَةٌ لِجَمْعِ صِفَةِ مِلَّتِهِمْ، وَلَكِنْ وَبِجَمِيعِ الْأَحْوَالِ تَصِفُهُمْ أَنْفُسَهُمْ .

وَيَجِبُ التَّنْوِيهُ قَبْلَ قَفْلِ هَذَا السَّبَقِ، بِأَنَّهُ وَمَعَ كَشْفِ جَمِيعِ هَذِهِ الْحَقَائِقِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَمِيعِ مَا خَرَجَ مِنْهُمْ مِنْ وَصُوفٍ وَتَسْمِيَاتٍ وَمِلَلٍ، فَلَا يَعْنِي ذَلِكَ أَنْ نَتَعَامَلَ مَعَهُمْ جَمِيعًا بِطَرِيقَةٍ تُخَالِفُ كِتَابَ اللهِ. فَمِنْهُمْ -وَمَعَ اخْتِلَافِ عَقِيدَتِهِ مَعَنَا كَمُسْلِمِينَ، وَمَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ- قَدْ لَا يَكُونُ مُفْسِدًا فِي الْأَرْضِ، وَلَا يُفَكِّرُ فِي الِاعْتِدَاءِ عَلَى النَّاسِ. فَمَآلُهُ إِلَى اللهِ فِي دِينِهِ، وَعَلَيْنَا أَنْ نُعَامِلَهُ فِي الدُّنْيَا بِحَسَبِ مَا عَلَّمَنَا اللهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ .

سُورَةُ الْمُمْتَحِنَةِ: لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾.

وَهَذِهِ الْآيَةُ لِعُمُومِ النَّاسِ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ دِينِهِمْ، أَوْ عَقِيدَتِهِمْ، أَوِ انْتِمَاءَاتِهِمْ، أَوْ مَيُولِهِمْ، أَوْ عِرْقِهِمْ .

وخُلاصةً لما سبق، ينبغي علينا أن نُوقن يقينًا راسخًا أنّ ما يُروَّج له اليوم تحت ما يُسمّى بـ "الديانة الإبراهيمية"، من شعاراتٍ زائفةٍ كالتّعايش والإنسانيّة، وما شابهها من دعاوى مُفترَاة، وما يُراد من خلالها من جمع الإسلام واليهوديّة والنّصرانيّة في دينٍ واحدٍ "إلهيٍّ" – إنّما هو محضُ كذبٍ وافتراء، ومخطّطاتٌ شيطانيّة، تهدف إلى تضليل النّاس، والنّيل من دين الله الحقّ. ويكفينا للردّ على هذه المزاعم والافتراءات والتّضليل والكذب، الآيةُ الكريمة التي سبق أن ذكرناها، ونُعيدها فيما يلي بيانًا وتثبيتًا:

سورةُ ءالِ عمرانَ: مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾.

فليكن موقفُنا ثابتًا لا يتزعزع، وإيمانُنا صافياً لا يشوبه شكّ، ولنحذر من تلبيس الحقّ بالباطل، فإنّ دينَ اللهِ واحدٌ لا يقبل التّحريف ولا الخلط، ودينُ الإسلام هو كلمةُ التّوحيد الخالدة التي نزل بها الوحيُ على خاتم النبيّين وجميع من سبقه من أنبياء ورسل. فلنعتصمْ بحبل الله المتين، ولندافعْ عن ديننا بما أُمرنا به: علمًا، وبصيرةً، وثباتًا على الحقّ.